

145324 - تفسير قوله تعالى: (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين).

السؤال

جاء في القرآن قوله تعالى " ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين " ولكني لم أستطع فهم هذه الآية. فهل المقصود بالمصابيح هنا النجوم أم الشهب والنيازك؟ فإذا كانت الأولى فكيف يمكن لمخلوق بحجم النجم أن يستخدم لرجم الشياطين؟ أرجو التوضيح ، ولكم جزيل الشكر.

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

المقصود بالمصابيح في الآية : النجوم التي خلقها الله في السماء ، وقد جعل من هذه النجوم رجوماً للشياطين ، كما قال قتادة رحمه الله في قوله تعالى : (وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ) : " خَلَقَ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثٍ : جَعَلَهَا زِينَةً لِلسَّمَاءِ ، وَرَجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ، وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا ؛ فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا بِغَيْرِ ذَلِكَ : أَخْطَأَ ، وَأَضَاعَ نَصِيْبَهُ ، وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ " .

ذكره البخاري عنه في صحيحه (4/107) معلقاً مجزوماً .

وراجع : "تفسير الطبري" (23 / 508) – "تفسير ابن كثير" (3 / 305) – "فتح القدير" (5 / 363) .

والمقصود بجعلها رجوماً للشياطين أنه يخرج منها شهب من نار ، فتصيب هذه الشياطين ، ولا يعني جعلها رجوماً أنها بذواتها يُقذف بها ، كما قال تعالى : (إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ) الصافات / 10 . فالذي يصيب هذه الشياطين من تلك النجوم هي تلك الشهب التي تخرج منها .

ويدل عليه ما رواه البخاري (4701) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتْ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ كَالسَّلْسِلَةِ عَلَى صَفْوَانٍ ، يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ ، فَإِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا : مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ قَالُوا لِلَّذِي قَالَ : الْحَقُّ ، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ . فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرْقُو السَّمْعِ ، وَمُسْتَرْقُو السَّمْعِ هَكَذَا وَاحِدٌ فَوْقَ آخَرَ ، فَرِيْمًا أَدْرَكَ الشَّهَابُ الْمُسْتَمِعَ قَبْلَ أَنْ يَرْمِيَ بِهَا إِلَى صَاحِبِهِ فَيَحْرِقُهُ ، وَرِيْمًا لَمْ يَدْرِكْهُ حَتَّى يَرْمِيَ بِهَا إِلَى الَّذِي يَلِيهِ ، إِلَى الَّذِي هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ ، حَتَّى يُلْقُوها إِلَى الْأَرْضِ ، فَتَلْقَى عَلَى فَمِ السَّاحِرِ ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ ، فَيُصَدِّقُ فَيَقُولُونَ : أَلَمْ يُخْبِرْنَا : يَوْمَ كَذَا وَكَذَا يَكُونُ كَذَا وَكَذَا ، فَوَجَدْنَاهُ حَقًّا ؟ - لِلْكَلِمَةِ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ) .

فقوله في هذا الحديث : (فَرِيْمًا أَدْرَكَ الشَّهَابُ الْمُسْتَمِعَ قَبْلَ أَنْ يَرْمِيَ بِهَا إِلَى صَاحِبِهِ فَيُحْرِقُهُ) يدل على أن شهاب النار يخرج من تلك النجوم فيصيب تلك الشياطين .

قال القرطبي رحمه الله :

" أي جعلنا شهبها ؛ فحذف المضاف ، دليله : (إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ) وعلى هذا فالمصابيح لا تزول ولا يرمم بها .

وقيل : إن الضمير راجع إلى المصابيح على أن الرجم من أنفس الكواكب ، ولا يسقط الكوكب نفسه إنما ينفصل منه شيء يرمم به ، من غير أن ينقص ضوءه ولا صورته " انتهى .

"الجامع لأحكام القرآن" (18 / 210-211)

وقال ابن كثير رحمه الله :

" عاد الضمير في قوله : (وَجَعَلْنَاهَا) على جنس المصابيح لا على عينها ؛ لأنه لا يرمي بالكواكب التي في السماء ، بل بشهب من دونها ، وقد تكون مستمدة منها ، والله أعلم " انتهى . "تفسير ابن كثير" (8 / 177)

وقال الألوسي رحمه الله :

" جعلها رجوماً : يجوز أن يكون لأنه بواسطة وقوع أشعتها ... تحدث الشهب ، فهي رجوم بذلك الاعتبار ، ولا يتوقف جعلها رجوماً على أن تكون نفسها كذلك ، بأن تنقلع عن مراكزها ويرجم بها ، وهذا كما تقول : جعل الله تعالى الشمس يحرق بها بعض الأجسام ، فإنه صادق فيما إذا أحرقت بها بتوسيط بعض المناظر ، وانعكاس شعاعها على قابل الإحراق " انتهى .

"تفسير الألوسي" (17 / 70)

وقال السعدي رحمه الله :

" جعل الله هذه النجوم حراسة للسماء عن تلف الشياطين أخبار الأرض ، فهذه الشهب التي ترمى من النجوم ، أعدها الله في الدنيا للشياطين " انتهى .

"تفسير السعدي" (ص 875)

وقال ابن عثيمين رحمه الله :

" قال العلماء في تفسير قوله تعالى : (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين) : أي : جعلنا شهابها الذي ينطلق منها ، فهذا من باب عود الضمير إلى الجزء لا إلى الكل .

فالشهب : نيازك تنطلق من النجوم .

وهي كما قال أهل الفلك : تنزل إلى الأرض ، وقد تحدث تصدعاً فيها ، أما النجم فلو وصل إلى الأرض لأحرقها " انتهى .

"القول المفيد على كتاب التوحيد" (1 / 227) .

ثانياً :

هذه مسألة قديمة ، أثارها الزنادقة في العصور المتقدمة طعنا في القرآن ، وقد تعرض الجاحظ للرد عليها ، والجاحظ وإن كان من أهل البدعة ، فلا بأس الاستئناس بكلامه ، في أمر لا يتعلق ببدعته .

قال الجاحظ عفا الله عنه ، في كتابه "الحيوان" (6 / 496-497) :

" قالوا : زعمتم أن الله تعالى قال : (وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ) ، ونحن لم نجد قط كوكباً خلا مكانه ، فما ينبغي أن يكون واحدٌ من جميع هذا الخلق من سكان الصحارى والبحار ومن يراعي النجوم للاهتداء أو يفكر في خلق السموات أن يكون يرى كوكباً واحداً زائلاً مع قوله : (وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ) ؟ .

قيل لهم : قد يحرك الإنسان يده أو حاجبه أو إصبعه فتضاف تلك الحركة إلى كفه فلا يشكون أن الكل هو العامل لتلك الحركة ، ومتى فصل شهابٌ من كوكب فأحرق وأضاء في جميع البلاد ، فقد حكم كل إنسان بإضافة ذلك الإحراق إلى الكوكب . وهذا جواب قريب سهل ، والحمد لله "

انتهى كلامه .

والله تعالى أعلم .